كلمة الاب هادي محفوظ

رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

حفل التخرج، ٢٥ حزيران ٢٠١٤

---

١. إنّها الخطوة، الخطوة الجميلة التي تقومون بها، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، أمام ناظري أهلكم وجامعتكم وأقاربكم وأصدقائكم وأصدقاء الجامعة، إنّها الخطوة التي تستحوذ على تفكيرنا ومشاعرنا في هذه اللحظات.

٢. فهي خطوة في حياة كلّ منكم، وهي ليست الأولى. قمتم بعدّة خطوات سابقًا، من بداية المشي على الأقدام، فبداية النطق، فالمدرسة، فالشهادة المتوسطة، فالشهادة الثانويّة، فالشهادات الجامعيّة الأولى للبعض منكم، فالانجازات المختلفة، وغيرها الكثير من الخطوات التي تتميّز بها حياة كلّ منكم. وهذه الخطوة، اليوم، ليست الأخيرة. فحياتكم إلى الأمام، ولا يستطيع أحدٌ إيقاف الزمن. إنّها، إذًا، خطوة بين خُطُوات في تاريخكم الشخصيّ. فدعوتي اليكم هي أن تشعروا مليًّا بكلّ خطوة، وتفرحوا بها، وتستعذبوها، بدون التوقّف عندها إلى ما لا نهاية. فالحياة إلى الأمام، وكلّ الحياة جميلة في كلّ خطوة يقوم بها الإنسان.

٣. وخطوتكم اليوم، هي خطوة في حياة آخرين. أوّلهم هؤلاء العظماء الجالسون أمامكم، عنيت بهم آباءكم وأمّهاتكم. جميعهم، أينما كانوا، يشاركوننا فرحتنا اليوم. هؤلاء الخيّرون هم عظماء، لأنّ العظمة في هذه الدنيا تقاس بمقدار ما يزرع الإنسان من خير وطيبة ومحبّة في ذاته وفي محيطه. فالكرامة الإنسانيّة أعطانا إيّاها الله أبونا بالتساوي، نحن أبناءه. فإن كنا نتوزّع الأدوار والتراتبيّة في المجتمع وفي مراكزه، وهذا أمر ضروريّ من أجل حسن سير المجتمع والأمور، فإنّ العظمة الوحيدة هي عظمة الخير والطيبة والمحبّة، لأنّ فيها ملاقاةً عميقةً للعظيم الوحيد الّذي هو الله، وهو الخير والطيبة والمحبّة.

والآباءُ والأمّهاتُ خبراءُ في هذا الفنّ، فنّ الخير والطيبة والمحبّة. لذلك هم عظماء. لذا أدعوكم إلى التصفيق لهم. هذا التصفيق هو علامة إقرار بمعنى العظمة في هذا الوجود وعلامة شكر لهم على كلّ حبّة محبّة زرعوها في حياتكم.

يومًا ما، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، سوف تجلسون مكانهم لتشاهدوا اولادكم في حفل التخرّج، فتفهموا أكثر، حينها، وبكلّ روح طيّبة وشفّافة، معنى خطوتكم اليوم، لهم ولكم.

٤. هذه الخواطر تحملنا إلى اسم فوجكم. إنّكم "فوج البابوين القديسين يوحنا الثالث والعشرين ويوحنا بولس الثاني"، اللّذين فرحنا جميعًا باعلان قداستهما في ٢٧ نيسان الفائت. إلى كلامهما أعود، لتفهموا، بشكل أفضل، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، حكاية الخطوات التي تنير خطوتكم الحياتيّة.

اليكم ما توجّه به القدّيس البابا يوحنّا الثالث والعشرون، إلى الشبيبة، وهو الّذي يحمل لقب "البابا الطيّب"، وكان عمره، حينها، سنة ١٩٦١، ثمانين عامًا. قال: "يا أبنائي الأحبّاء ... أنتم تحملون رسالة رجاء وأمل، مباركة من الله ذاته. كونوا أكيدين: إنّ هذه الرسالة تجد صدًى شديد العذوبة في قلبنا. كلّنا كنّا شبيبة. كلّنا شبيبة في قلبنا. كلّنا نشترك في الهموم الكبيرة

لشبيبة اليوم، من أجل صحّتهم المعنويّة، من أجل تطلّعاتهم المحقّة، ومن أجل انخراطهم في عالم العمل وفي المجتمع" (عظة إلى الشبيبة، ٣ تشرين الثاني ١٩٦١). هي كلمات يجول صداها في جيوب كلّ حقبات التاريخ. اولئك الذين توجّه اليهم القديس البابا، هم جيل الشبيبة في زمن أجدادكم وجدّاتكم.

واليكم ما قاله القديس البابا يوحنا بولس الثاني، الّذي أسّس الأيّام العالميّة للشباب. اليكم ما قال في رسالته بمناسبة اليوم العالميّ للسلام ١٩٨٥، والتي أعطاها عنوان "السلام والشبيبة يمشيان سويًّا". قال: "الدعوة الأولى التي أوجّهها اليكم، يا شباب اليوم وشابّاته، هي هذه: لا تخافوا! لا تخافوا من كونكم شبيبة ومن أحاسيسكم العميقة التي تشعرون بها، حول السعادة، وحول الحقيقة، وحول الجمال، وحول الحبّ الدائم ... لا تخافوا. عندما أنظر اليكم ... أشعر بعرفانٍ بالجميل كبير، كما أشعر بالأمل وبالرجاء". هي أيضًا كلمات تجد في كلّ جيل مكانًا ملائمًا لها. اولئك الشبيبة الّذين توجّه اليهم البابا القديس هم الشبيبة في جيل آبائكم وامّهاتكم.

بين جيل وجيل، حكاية خطوات مشرقة من أجل خير الإنسان والإنسانيّة. وتستمرّ الحكاية.

فإليكم ما قاله قداسة البابا فرنسيس، في أوّل احتفال له بالأيّام العالميّة للشباب، السنة الفائتة، في البرازيل: "أيّها الفتيان والفتيات، رجاءً: لا تضعوا نفسكم في "ذيل" التاريخ. بل كونوا صانعيه. (وإذ استعار صورة من لعبة كرة القدم، تابع) العبوا في الهجوم! اركلوا إلى الأمام. ابنوا عالمًا أفضل، عالم اخوة، عالم عدالة، عالم حبّ، عالم سلام، عالم اخوّة، عالم تضامن ... أيّتها الشبيبة العزيزة، رجاءً، لا تنظروا إلى الحياة من الشرفة، بل انخرطوا في الحياة" (سهرة مع الشبيبة، ٢٧ تموز ٢٠١٣).

هي كلمات مؤثّرة تصلح أيضًا لجميع الأجيال. هي كلمات لبابا لا ينفكّ يهزّ العالم احتراما وتأثرا بما يقوم به، ولا زال الفيلم الذي تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي عن اعطائه امر

ايقاف سيارته المتواضعة امام حشد من المؤمنين كانوا يجرّون، في وسط الطريق، سرير معوّق طريح الفراش، على طريق كالابريا في ايطاليا السبت الفائت، لا يزال هذا الفيلم يجول الدنيا. فنزل قداسته من سيارته وطبع قبلة ابويّة على جبين المعوّق وباركهم جميعا. هو هذا، نفسه، الذي وجّه هذه الكلمات إلى جيل الشبيبة، جيلكم، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء.

٥. لقد استوقفت كلّ تلك الكلمات، لتعلموا، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، معنى خطوتكم في مسيرة التاريخ كلّه، تاريخكم والتاريخ عمومًا. هي كلمات تذكّرنا بمعنى الحياة. تذكّرنا بأنّ أفق الدنيا غير منغلق على هذه الدنيا. فتكون خطواتنا في هذه الدنيا مفتوحة على تلك الآفاق غير المحدودة، وتكون غير منغلقة في الواقع الآنيّ حيث نعيش. من هذا المنطلق، فلتكن كلّ خطواتكم بعيدة الآفاق. أحبّوا النجاح والتقدّم والنموّ، على كلّ الصعد، وافرحوا واملأوا الدنيا فرحًا، واسعوا إلى العظمة، ولا تنسوا أبدًا أنّ ذلك يتحقّق فقط بالخير والطيبة والمحبّة. وكما قال لكم قداسة البابا فرنسيس: "لا تنظروا إلى الحياة من الشرفة"، بل تفاعلوا مع مجتمعكم، فإنّ كلاّ منّا مسؤول عمّا يؤول اليه المجتمع، ولا يستطيع أحد أن يلقي اللوم على غيره، بل على كلّ أحدٍ أن يساهم في بنيان مجتمعه، بلا ملل.

أحبّوا ذواتكم، واسعوا إلى إنجاح حياتكم، وفي الوقت عينه، أحبّوا كلّ إنسان، بدون أي تمييز. ففي خطواتكم نحو العظمة، تيقّنوا أنّكم لستم وحدكم، بل هناك آخرون قربكم. فانتبهوا إلى كلّ إنسان، وخصوصًا الضعيف، أيًّا كانت طبيعة ضعفه.

لا تخافوا من أيّ أمر في الحياة. لا شيء، مهما كان ظاهره سيئًا، يقدر أن يكون سببًا دائمًا للخوف. لا شيء، حتّى ما نسمعه بيننا ومن حولنا في هذه الأيّام. لا شيء. فليكن الخوف فريستنا ولا نكن نحن للخوف فريسة. فالمؤمن الجيّد يعلم أنّ لا إنسان ولا أمر أقوى من سيّد التاريخ. والإداريّ الجيّد لا ينعي أبدًا، بل يقيّم الأمور كما هي أمامه ويكتشف ماذا عليه أن يعمل ليصل إلى الأفضل. المؤمن الجيّد هو إداريّ جيّد، والإداريّ الجيّد هو مؤمن جيّد.

٦. يجب الاّ نخاف أبدًا، أبدًا، بل فلنتفاعل إيجابيًّا مع لبنان، مهما حدث، ولنؤمن به، ولنحبّه. علينا أن ننبذ تجربة العيش، في الذهن وفي القلب، بعيدًا عن لبنان، فيما نحن عائشون على أرضه. وإذا قذفت أمواج الحياة البعض منّا إلى هذا البلد أو ذاك، فلنظلّ، أينما كنّا، حاملين للبنان حبًّا.

في الحديث عن لبنان، أعود إلى فكرة "الخطوات". فنحن على خطوة من البحر، وعلى خطوة من الجبل، نشهد لوطن شديد الجمال، من حقّه علينا أن نحترمه، ونبنيه، ونعلي شأنه ونجعله عظيمًا، بالخير والطيبة والمحبّة. فلنتذكّر أنّ هذا الوطن هو الذي يعيرنا هواءه لنتنفّس. من حقّه علينا، أن نتأمّل في جماله وتستفيد روحنا من هذا التأمّل. إنّه موقف لا يحظى به الكثيرون على وجه الأرض.

٧. وإنْ أذكر لبنان، يطيب لي، كما أفعل دومًا، أن أذكر الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة الّتي أسّست جامعتكم والتي تديرها، والتي تعشق لبنان واللبنانيّين وترافقهم في تجوالهم حيثما حلّوا. اعتبروا من خطواتها عبر التاريخ، التي واجهت فيه الصعوبات الكبيرة، فأصرّت على زرع الخير في هذه الأرض الطيّبة. وأيّدها الربّ إذ أقام من أبنائها قديسين مثل شربل ورفقا ونعمة الله واسطفان. هنا، أودّ أن احيّي قدس الأب العام الاباتي طنوس نعمة الرئيس العام للرهبانية اللبنانية المارونية

السامي الاحترام، وهو عظيم من رهبانيّتنا لأنّه شاهد على مبدأ الخير والطيبة والمحبّة فيها. له أقدّم شكري، كما لحضرة الآباء المدبرين الجزيل احترامهم، من اجل كلّ العناية بامور الجامعة وبشجونها.

٨. وخطوتكم، أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، هي خطوة من خطوات جامعتكم، جامعة الروح القدس، التي تتّحد إدارة، وعمداء، واساتذة، وطلابا، لتنظر بكلّ فرح اليكم وتهنّئكم. إنّها جامعتكم التي تتحرّك اوتار ذهنها على الوقع الجامعيّ العالميّ والتي يخفق قلبها اعتزازا بكلّ استاذ وموظّف، وتلميذ فيها. كلّما علا شأنكم، زاد شأن جامعتكم. وكلّما علا شأن جامعتكم، زاد شأنكم، لأنّ هناك اسمين فقط على شهادتكم، وهما مرتبطان، على الدوام، ببعضهما البعض، اسم كلّ منكم واسم جامعتكم. فادعوا لها بالتوفيق ليعلو شأنكم على الدوام.

٩. أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأحبّاء، إنّ تأمّلنا في خطوتكم علّمنا الكثير، فكنتم، بذلك، أساتذة لنا، حول معنى الحياة ومعنى بنيان المجتمع، ومعنى العظمة، ومعنى الانطلاق الدائم إلى الأمام، بدون خوف، وبكل فرح. لكم الشكر على من انتم. فأنتم عزّتنا وفخرنا. فيكم الكثير من السخاء لأنّكم تغدقون علينا الشعور بالفرح. فلذلك، باسم جميع الحاضرين هنا، أشكركم على هذه الخطوة التي استحوذت على تفكيرنا ومشاعرنا في هذه اللحظات. وشكرًا.